إلى أن يقول :

وأبو الفضل إن ذكرهم الحا ... و بقيٌّ الشفاء للأســـقام
صدق الناس فى حنين بضرب ... شاب منـه مفارق الفعقام

وأبو الفضل هو العباس عم النبي صلى الله عليه و لم ، وقد كانت الشيعة إلى عهد الكميت يدا واحدة إلى أن تفرقوا فى عهد العباسيين إلى علويين وعباسيين ، فعادى بعضهم بعضاً بعد أن آل الملك إليهم ، واستأثر به بنو العباس كما استأثر به بنو مروان قبلهم. وقد أخذ بعد هذا كله فى الحديث عن نفسه فى هذا الأمر الذى أخذها به ، واستسهل صنوف البلاء فى سبيله ، فقال :

فيهم كنت للبعيدين عما ... واتهمت الغريب أى اتهام
وتناولت من تناول بالغيـ ... ـبة أعراضهم وقل اكتتامى

إلى أن يقول :

ولهت نفسى الطروب إليهم ... ولهاً حال دون طعم الطعام
ليت شعري هل ثم هل آتينهم ... أم يحولن دون ذاك حمامى

وقد أراد أن ينتقل من ذلك إلى ذكر ناقته ووصفها على عادة الشعراء قبله ، ولكنه يجعل ذلك فى ختام قصيدته ولا يبدأ به فى أولها كما كانوا يبدؤون به ، فلا يؤثره بهذا على مقصوده الذى ملك عليه مشاعره ، وفى هذا يقول :

إن تشبيح بى المذكرة الوجنا ... ء تنـــى لغامها بلغام
عنتريس شملة ذات لوث ... هوجل ميلع كتوم البغام

إلى أن يقول فى الختام :

ما أبالى إذا تحن إليهم ... نقب الخف واعتراق السنام
يقض زور هناك حتى منوري ... ن ويحيى السلام أهل السلام

وكذلك يسلك الكميت ما يقرب من هذا المسلك فى بائيته الأولى ، فقد تخلص من مطلعها إلى ذكر حال نفسه وما يلاقيه فى سبيل رأيه فقال :

بنى هاشم رهط النبى فانني ... بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب
خفضت لهم منى جناحى مودة ... إلى كنف عطفاه أهل ومرحب
وكنت لهم من هؤلاء وهؤلا ... جنا على أني أذم وأنصب

إلى أن قال :

يعيبوننى من خبهم وضلالهم ... على حبكم بل يسخرون وأعجب
وقالوا ترانى هـــواه ورأيه ... بذلك أدعى فيهم وألقب
على ذاك إجرائى وهى ضريبتى ... ولو جمعوا طرا على وأجلبوا

وأحمل أحقاد الأقارب فيكم ... وينصب لى فى الأبعدين فأنصب

ثم أخذ فى ذلك الحجاج الذى جمع فيه بين الشعر والعلم ، ولعله هذا كان أول عهد العرب بذلك الأسلوب فى الشعر :

بخاتمكم غصباً تجوز أمورهم ... فلم أر غصباً مثله يتغصب
وجدنا لكم فى آل حاميم آية ... تأولها منـــا تقى ومعرب
وفى غيرها آياً وآياً تتابعت ... لكم نصب فيها الذى الشك منصب
بحقكم أمست قريش تقودنا ... وبالفذ منها والرديفين نركب
وقالوا ورثناها أبانا وأمنا ... وما ورثتهم ذاك أم ولا أب
ولكن مواريث ابن آمنة الذى ... به دان شرقى لكم ومغرب
يقولون لم يورث ولولا تراثه ... لقد شركت فيه بكيل وأرحب
ولا كانت الأنصار فيها أدلة ... ولا غيباً عنها إذا الناس غيبوا
فان هى لم تصلح لقوم سواهم ... فإن ذوى القربى أحق وأقرب

إلى أن قال :

فيالك أمراً قد أشنت أموره ... ودنيا أرى أسبابها تتقضب
يروضون دين الحق صعباً مخرماً ... بأفواههم والرائض الدين أصعب
وقد درسوا القرآن وافتلجوابه ... فكلهم راض به متحزب
فمن أين أو أنى وكيف ضلالهم ... هدى والهوى شتى بهم متشعب

ثم أخذ فى مدح بنى هاشم فقال :

فيا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها ... ويا حاطباً فى غير حبلك تحطب
ألم ترنى من حب آل محمد ... أروح وأغدو خائفاً أترقب
أناس بهم عزت قريش فأصبحوا ... وفيهم خباء المكرمات المطنب
خضمون أشراف لهاميم سادة ... مطاعيم إذا الناس أجدبوا

إلى أن قال :

وقد غادروا فينا مصابيح أنجما ... لنا ثقة أيان نخشى ونرهب
أولئك إن شطت بهم غربة النوى ... أماني نفسى والهوى حيث يسقب

ثم ختم ذلك كله بوصف ناقته كما فعل فى ميميته فقال :

فهل تبلغنهم على بعد دارهم ... نعم ببلاغ الله وجناء ذغلب
مذكرة لا يحمل السوط زهلها ... ولأياً من الاشفاق ما يتعصب

إلى أن قال :

كأن حصى الزلزاء بين فروجها ... نوى الرمح ماق المصعد المتصوب
إذا ما قضت من أهل يثرب موعداً
فكم من أوطانها والمحصب

عبد المتعال الصعيدى